أو يخرج له وجه بعيد كما في قول العجاج :

وفاحماً ومَرْسَناً مُسَرَّجا

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « مسرّجا » حتى اختلف في تخريجه ، فقيل : هو من قولهم لسيوف « سريجية » منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي . وقيل من السراج ، يريد انه في البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : « سرج وجهه » أي : حَسُنَ ، و« سرّج الله وجهه » أي بهجه وحسنه .

وهذا بحث اهتم به النقاد والبلاغيون كابن سنان الذي عاب الذين يكثرون من الوحشي الغريب في كلامهم وذكر ما وقع فيه بعضهم فخرج كلامه عن الفصاحة وبعد عن الفهم (١). وكابن الاثير الذي يرى أن الوحشي ليس المستقبح من الالفاظ وانما هو قسمان : غريب حسن ، وغريب قبيح (٢) .

٣ـ مخالفة القياس اللغوي : كقول الراجز :

الحمدُ لله العليِّ الأجلّلِ ... الواهبِ الفضلِ الكريمِ المُجزِلِ

فان القياس « الأجلّ » بالادغام .

ولم يوضح مخالفة القياس ، وكان ابن سنان قد تكلم عليه ووضحه وأدخل فيه كل ما ينكره اهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة (٣).

ووضع القزويني قاعدة للفظة الفصيحة فقال : « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيراً أو اكثر من استعمالهم ما بمعناها»(٤). وبعد ان انتهى من شروط اللفظة الفصيحة تحدث عن فصاحة الكلام وهي :

١ ـ خلوصه من ضعف التأليف : ومثل له بقوله : « ضرب غلامهُ زيداً» فان رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى ماهو متأخر لفظاً ورتبة ، وقيل يجوز لقول الشاعر :

(١) سر الفصاحة ص٧٥.
(٢) المثل السائر ج١ ص٥٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣.
(٣) سر الفصاحة ص٨٢-٩١.
(٤) الايضاح ص٤.

جزى ربّه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

٢ـ التنافر: وهو أن تكون الالفاظ بسببه متنافية في الثقل على اللسان متتابعة كما في البيت الذي انشده الجاحظ :

ولبعر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ومنه ما دون ذلك كقول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

وسبب التنافر في « أمدحه » مابين الحاء والهاء من تنافر لانهما حلقيان ، وتكرار الكلمة في الشرط والجزاء .

٣ـ التعقيد : وهو أن لايكون ظاهر الدلالة على المراد به وله سببان :

الاول : مايرجع إلى اللفظ وهو ان يختل الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

ووضع القزويني قاعدة للكلام الخالي من التعقيد اللفظي وقال انه : « مما سلم تنظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم أو تأخير او اضمار او غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية (١). وهذا ما تكلم عليه عبدالقاهر وسماه « التعقيد » أو « فساد النظم» (٢) وادخله ابن سنان في بحث التقديم والتأخير (٣)، وعدّه ابن الاثير من المعاظلة المعنوية التي يسببها التقديم والتأخير (٤).

الثاني : ما يرجع إلى المعنى وهو أن لايكون في انتقال الذهن من المعنى الاول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقول العباس بن الاحنف :

سأطلبُ بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموعَ لتجمدا

(١) الايضاح ص٦.
(٢) اسرار البلاغة ص١٦٢.
(٣) سر الفصاحة ص١٢٥.
(٤) المثل السائر ج١ ص٢٩٤ ، ج٢ ص٤٤ وما بعدها.